الخطاب الحسيني في أرض كربلاء/ دراسة لغوية وتحليل

أ.م.د.عبد الكاظم محسن الياسري
كلية التربية للبنات /جامعة الكوفة

مدخل

الله اي دم في كربلا سفكا لم يجر في الأرض حتى اوقف لفلكا

كربلاء الأرض التي اختارها الله ليعمدها بدم الإمام الحسين وأصحابه ، الأرض التي اختارها الله لتجري عليها أعظم مأساة عرفها تاريخ الإنسانية الأرض التي اختارها ليكون عليها مصرع سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه.

الأرض التي اختارها الله لتجري على ترابها اكبر معركة عرفها تاريخ الدنيا بين الحق والباطل.

الأرض التي اختارها الله لتقطع عليها سيوف الظالمين جسد ابي عبد الله الحسين.

الأرض التي اختارها الله لتظم رفاة الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه.

الأرض التي اختارها الله لتكون مقدسة على مر العصور والدهور إلى يوم الدين.

الأرض التي اختارها الله لتكون خالدة على كل لسان وتكون قبلة للوافدين والزائرين من كل أقطار الدنيا.

كربلاء الأرض التي انطلقت منها أعظم ثورة في تاريخ الدنيا لتنتهي بانتصار الحق على الباطل والدم على السيف.

كربلاء الأرض التي انطلقت منها صرخة الإمام الحسين فاهتزت لها اركان السموات والأرض (اما من مغيث يغيثنا ، اما من ذاب يذب عن حرم رسول الله).

يصل الركب الحسيني إلى هذه الأرض ، وهو يضم الحسين وأهل بيته وأنصاره وعياله ، ويتوقف جواد الإمام في هذا المكان ويتوقف الركب ويسال الإمام الحسين (عليه السلام) عن اسم هذه الأرض فيذكر له أصحابه عدداً من اسمائها ، قيل اسمها شاطئ الفرات ، وقيل الغاضرية ، وقيل نينوى..... والإمام يقول هل لها اسم غير هذا ؟ فيقولون اسمها كربلاء ، ويتنفس الإمام الصعداء ، وياخذ قبضة من ترابها وينظر إليه ويقول: انا لله وان إليه راجعون ، ثم يأمر أصحابه بالنزول فيها وبناء خيامهم على ارضها ويقول:

(لا ترحلوا منها ، ها هنا والله مناخ ركابنا ، ها هنا والله سفك دمائنا ، ها هنا والله ذبح اطفالنا ، ها هنا والله موضع قبورنا ، وبهذه التربة وعدني جدي رسول الله ولا خلف لقوله)[1].

هذه اذن هي الأرض التي وعد الله ورسوله الإمام الحسين بها ، وهذه الأرض هي التي شد الإمام رحاله إليها من الحجاز وقطع المسافات الطويلة إليها ليكون فيها مقامه الأخير ، وهذه الأرض هي التي أشار إليها الإمام الحسين في أول خطاب قبل خروجه من مكة المكرمة (كأني باوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء).

وهي الأرض التي أمر الحسين ركبه بالنزول فيها لان جده وعده بها وحين ننظر إلى تراكيب هذه القطعة التي قالها الإمام حين وطأت قدماه تراب كربلاء ، نجد ان كل كلمة من كلماته تحمل في بنيتها شحنة من الحزن العميق ، وكل تركيب من تراكيبه تتفجر منه تباريح الألم الممض الذي يترك أثراً واضحاً في نفوس السامعين ، ويشعر المتلقي وهو يسمع تراكيب هذا الخطاب وبناء الجمل التي اعتمدت على التكرار ان طابع النعي والنهاية المأساوية هو الذي يسيطر على لغة هذا الخطاب وتوحي تعبيرات الخطاب بظلال من المعاني فيها دلالة على ان الإمام الحسين ينعى نفسه وأهل بيته وأنصاره ويؤكد ما ورد في هذا الخطاب ان هذا المكان هو محل استشهادهم جميعاً ، ويخال من يسمع هذه التراكيب الحزينة ان كل حجر ومدر وشجر يرددها مع الإمام (عليه السلام) وان صداها يتردد في اقطار السموات والأرض ، ويحسب من يسمع صوت الإمام وهو يردد هذه التراكيب المتماثلة برهبة تبعث الخشوع والألم والحزن والتعاطف في قلوب السامعين الا قلوب القساة الجفاة من جيوش الامويين واتباعهم ، وقد ساعد على اضفاء هذا الطابع الحزين على الخطاب الكلمات التي اختارها الإمام ليؤلف منها تراكيبه وطريقه الصياغة التي استعملها في بناء هذه التراكيب ، وطبيعة التكرار في كل مقطع من المقاطع التي يتألف منها ، ومن ينظر في السياق العام للخطاب يجد ان كل تركيب من هذه التراكيب يبدأ بصوت الهاء الذي يتباعد مخرجه في اقصى الحلق وفيه صفة الهمس التي توحي بالهدوء وبعده صوت مد طويل هو الالف الذي يمنح كل تركيب مساحة واسعة من الامتداد تسمح بالحرية في مد الصوت إلى ابعد ما يمكن من المسافة ، وينتهي التركيب بصوت النون الذي تسهم الشفتان في انتاجه وفيه نوع من الغنة يتبعه صوت مد طويل هو الالف (رجالنا – دمائنا – اطفالنا ...) وهذا النوع من التراكيب يولد عند سماعه نغماً حزيناً يشبه صوت النعي او الانين عند مد الصوت فيترك اثراً قوياً في نفوس السامعين وقد اسهمت صفة التكرار في كل تركيب في توليد هذا الأثر المحزن لان فيها ما يشبه الإيحاء باليأس والرضا بالقضاء ، (ها هنا مناخ ركابنا ... ها هنا سفك دمائنا ... ها هنا سبي نساءنا...).

وفضلاً عما تقدم فان ظاهرة التكرار في تراكيب الخطاب واعادة مقطع محدد في كل تركيب يوحي بنوع من الالحاح لتأكيد أمر محدد يريد الإمام التعبير عنه وهو ان هذه الأرض هي مثواه الأخير هو وأصحابه ، وقد منح هذا التكرار الخطاب توكيداً و تثبيتاً في نفوس السامعين.

لقد تكرر اسم الإشارة (ها هنا) في كل تركيب ليمثل القرار الثابت في النزول بهذا المكان ، وتكرر القسم بلفظ الجلالة ليزيد الأمر قوة وثباتاً ويوحي برهبة الموقف وعظمته، ولكي يتخذ سياق الخطاب دلالته على الثبات استعمل الإمام التراكيب الاسمية في بنية خطابه بدلاً من التراكيب الفعلية فقد ورد في الخطاب (مناخ ، وسفك ، وذبح ، وقتل) بدلاً من (تناخ ، وتسفك ، وتهتك)[٢].

هكذا بدأ الإمام في أول يوم وطأت فيه قدماه ارض كربلاء ، لقد رسم الإمام في هذا الخطاب القصير ، اصدق صورة ناطقة لما سيجري على هذه الأرض بعد حين ، وكل تركيب من تراكيبه يجسد لنا مشهداً من مشاهد هذه الصورة الحزينة ، وتكتمل هذه المشاهد لترسم لنا صورة حسية تمثل أعظم مأساة في تاريخ الانسانية ، (ركاب تناخ ، اجساد طاهرة تمزقها سيوف الظالمين ، اطفال تذبح ، حرمات تنتهك ، نساء تسبى ، دماء تعمد تراب الأرض ، صدور تداس بحوافر الخيل ، رؤوس تقطع ، اجساد تكفنها الذاريات ، اطفال تتيه في الفلوات ، خيام تشتعل فيها النيران....) لوحة تؤلفها طائفة من المشاهد المؤلمة التي يتبع بعضها بعضاً وهي ترسم بعد اكتمال ابعادها صورة لاعظم مأساة عرفتها الإنسانية وانتهت باستشهاد الإمام الحسين وأهل بيته وأنصاره لينالوا الخلود الدائم وتنتصر دماؤهم على سيوف اعدائهم ، وازعم ان هذه الصورة التي رسمها الإمام في هذا الخطاب القصير لا يستطيع تجسيدها اي فنان على وجه الأرض ولا يحيط بتصوير مشاهدها الأدباء والشعراء في هذه الدنيا.

وينزل الإمام الحسين وأصحابه في كربلاء ، وتنصب خيامهم وفي المكان نفسه نزلت جيوش اعدائه من خيل ورجال وهي في كامل عدتها للقتال وتقرع طبول الحرب وهم عازمون على قتل الإمام الحسين ومن معه ، وفي هذا الجو التي تعصف فيه رياح الحرب من كل جانب وتسمع فيه قعقعة السلاح في كل مكان ، رأى الإمام ان واجبه الشرعي يحتم عليه نصح هؤلاء القوم الذين استحوذ عليهم الشيطان ، وان يبين لأهل بيته وأصحابه ما ينتظرهم من الأمر ويعرض عليهم النجاة بانفسهم ويخبرهم انهم في حل من بيعته وان القوم لم يطلبوا غيره ، وقد أراد الإمام من خلال ذلك ان يأذن لمن أراد ان ينجو بنفسه منهم ويجعله في حل من أمره ولا ذمام عليه ، وهذا الليل قد ارخى سدوله فليتحذه جملاً ، ومن اجل هذا جمع أصحابه وأهل بيته وقام فيهم خطيباً.

١- خطاب الإمام بأصحابه في كربلاء.

نزل الإمام الحسين وأصحابه وأهل بيته في ارض كربلاء وأمر بنصب خيامه فيها ونزل في مقابلته جيش الأعداء الذين جمعوا لقتاله ، ولما رأى الإمام الحسين عزم القوم على قتاله جمع أهل بيته وأصحابه وقام فيهم خطيباً ، قال: (اثني على الله احسن الثناء ، واحمده على السراء والضراء ، اللهم اني احمدك على ان اكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين ، وجعلت لنا اسماعاً وابصاراً وافئدة ولم تجعلنا من المشركين ، اما بعد، فاني لا اعلم أصحاباً اوفى ولا اخير من أصحابي ، ولا أهل بيت ابر ولا اوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيراً ، الا واني لاظن يومنا مع هؤلاء الاعداء غداً الا واني قد اذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم حرج مني ولا ذمام ، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ، وذروني وهؤلاء القوم فانهم لا يطلبون غيري ولو اصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم) [٣].

تتجلى في هذا الخطاب مسؤولية القائد وحكمته ، ونظرته الإنسانية في اصعب الظروف ، فالإمام الحسين حين خرج من مكة إلى العراق كان أهل العراق قد كاتبوه وعقدوا له البيعة وطلبوا منه القدوم إلى بلدهم وحين وصل إليهم رسول الإمام مسلم بن عقيل اعلنوا بيعتهم امامه لكن هذا الأمر لم يدم طويلاً فقد جرت في المنطقة تغيرات جعلت كثيراً من أهل الكوفة ينقضون بيعتهم للإمام وجرت الأمور بعكس ما يريد الإمام الحسين وقتل رسوله مسلم بن عقيل واعدت الجيوش لقتله هو وأصحابه ، ومن هنا رأى الإمام ان يبين لأهل بيته وأصحابه ما ينتظرهم من مصير فقد يكون بينهم من لايرتضي هذا المصير ، فكان هذا الخطاب.

بدا الإمام في خطابه هادئاً راضياً بالمصير الذي يلاقيه ، وقد استعمل التراكيب الواضحة في دلالتها والتي تكون في متناول فهم الجميع بدأ الخطاب بحمد الله والثناء عليه احسن الثناء وانه محمود في السراء والضراء ثم انتقل الإمام إلى ذكر ما انعم الله عليهم من نعم ، وما خصهم به من صفات وقد استعمل الجمل القصيرة التي تبدأ بالصيغ الفعلية ليعبر من خلالها عن الاستمرار والتجدد في هذه النعم ، وهكذا بدأت تراكيب الجمل (اكرمتنا، علمتنا ، فقهتنا ، جعلت لنا ..) وهكذا ترد هذه الافضال التي خصهم بها الله يتبع بعضها بعضاً – وقد أشار الإمام إلى ان الله سبحانه وتعالى جعل لعباده اسماعاً وابصاراً وافئدة ليسمعوا ما يقال ويبصروا ما يجري امامهم ثم يتفكروا فيما سمعوا وابصروا ليهتدوا إلى معرفة الحق واتباعه.

كل هذا كان مقدمة لما يريد الإمام بيانه لأصحابه وأهل بيته ، وبعد هذه المقدمة التي بدأ بها الإمام خطابه ، انتقل إلى الثناء على أصحابه وأهل بيته فوصفهم بأنهم اوفى الأصحاب واخيرهم وأبر أهل بيت واوصلهم – (فأني لا اعلم أصحاباً اوفى واخير من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر واوصل من أهل بيتي).

ان هذه الشهادة بحق هؤلاء الأصحاب من إمام عصرهم ووارث الرسول الاعظم تعد أعظم شهادة لهؤلاء بالوفاء والصدق والبر وصلة الأرحام. وهي وسام ظل يزين صدورهم إلى يومنا هذا.

لقد بنى الإمام تراكيب هذه الفقرة من خطابه على أسلوب التفضيل فقد ورد فيها على قصرها اربع صيغ على وزن افعل الذي يفيد التفضيل ، وقد وردت هذه الصيغ بحالة التنكير لتدل على العموم والاتساع في تفضيل هؤلاء الأهل والأصحاب على غيرهم من امثالهم في كل الدنيا ، وقد أراد الإمام من خلال إيراد هذه الصيغ (اوفى ، واخير ، وابر ، واوفى) الدلالة على عظم ما يحمله أصحابه وأهل بيته من هذه الصفات ، وقد كان الإمام دقيقاً في استعمال صيغ التفضيل في هذه التراكيب فالبر وصلة الأرحام من لوازم الأهل وصفاتهم ، وقد اوصى الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ببر الوالدين وصلة الأرحام وجعل ذلك تكليفاً شرعياً على المسلمين ، لذا وصف الإمام أهل بيته بانهم (ابر واوصل) تفضيلاً لهم على غيرهم ممن يحمل صفة

الأهل ، اما الوفاء والخير فمن لوازم الصحبة ومن هنا جاء وصف الإمام لأصحابه بانهم اوفى واخير من غيرهم ممن يحمل صفة الأصحاب ، ومن الملاحظ ان الإمام قد استعمل اسم التفضيل (اخير) على خلاف ما ورد في الاستعمال الشائع وهو (خير) بحذف الهمزة لكثرة الاستعمال ، وربما أراد الإمام من هذا الاستعمال مجانسة الصيغ التي وردت في هذا السياق وكلها تبدأ بالهمزة (أبر اوفى – اوصل –) ويبدو ان الإمام قدم الأصحاب على الأهل لمغزى دلالي هو ان الأهل اكثر لزوماً لمن ينتمي إليهم من الأصحاب ، ومن هنا جاء تقديم الأصحاب اهتماماً واكباراً بموقفهم العظيم.

وبعد ثناء الإمام على أصحابه وأهل بيته اخبرهم ان المعركة مع هؤلاء القوم أمر لا مناص منه ، وقد استعمل الإمام أسلوب التوكيد لتثبيت وقوع المعركة (اني لأظن..) وقال لهم ان القوم لا يطلبون غيره فمن أراد ان ينجو بنفسه فهو في حل من أمر الإمام ولا حرج ولا ذمام عليه في ذلك. فمن شاء ذلك فليتخذ الليل جملاً ويخرج من ميدان الحرب، وقد اذنت لكم جميعاً بالانصراف ، لقد استعمل الإمام تعبيراً استعارياً جميلاً لتصوير كيفية الانصراف لمن يشاء منهم مستمداً هذه الصورة من أمثال العرب يقول (وهذا الليل قد غشيكم فأتخذوه جملاً). يقول احد الباحثين ان الإمام (وضع لهم الواسطة التي يتفرقون بها من حوله ، وهي سواد الليل فسيكون لهم كالجمل في القدرة على حملهم إلى بر الامان بالرغم من الصعاب وخطورة الطريق)[٤].

قال الإمام هذا الكلام لأهل بيته ولأصحابه وهو يعلم ان احداً منهم لايمكن ان يفعل ذلك ، ويعلم ان مصيرهم قد ارتبط بمصيره ولا يمكن لاحد ان يتصور ان واحداً منهم يفكر في مفارقة الإمام ويختار الدنيا الفانية على الآخرة الباقية ولا احداً منهم يفضل الفناء على الخلود الابدي ، وهكذا جاء ردهم جميعاً انهم يختارون الموت معه على الحياة مع هؤلاء الظالمين ، وهو قرار سيدهم وامامهم (لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما).

وقد كان لهم ما أرادوا فكانوا من الفائزين في الدنيا والاخرة ، واصبحوا من الخالدين حتى صار موتهم امنية كل الأحياء والأموات ليفوزوا الفوز العظيم وكل منهم يردد ﴿يا لَيتَني كُنتُ معهم فَأَفُوزَ فَوْزاً عظيماً﴾ النساء/٧٣.

٢- خطَاب الإمام الحسين في جيوش الأعداء

بعد خطاب الإمام في أهل بيته وأصحابه بدأت جيوش الامويين تزحف نحو معسكر الإمام الحسين ، واتخذت مكاناً مقابلاً للإمام وأصحابه ، وكانت باعداد كبيرة بلغت الاف الرجال والفرسان يقودها عمر بن سعد بن ابي وقاص ، ويشرف على مجموعاتها عدد من فرسان أهل الكوفة المعروفين ، وكانت هذه الجيوش على اهبة الاستعداد للقتال ومجهزة بأنواع الأسلحة المعروفة في ذلك العصر وقد ازدحمت في ارض كربلاء اجواء القتال والمعارك فاصبحت تسمع فيها حمحمة الخيول وهمهمة الرجال وقعقعة السلاح وقرع طبول الحرب والقتال ، وفي مثل هذا الموقف الذي تهب فيه رياح

الحرب من كل صوب ، وترتفع فيه رايات القتال ، رأى الإمام الحسين بحكم مسؤوليته الشرعية بوصفه إمام العصر ومن أهل بيت النبوة ان ينصح هؤلاء القوم ويبين لهم ان مايريدون الاقدام عليه وما يدفعهم إليه قادتهم وأمراؤهم من عمل هو خطأ كبير وانهم حين يقدمون على قتاله سوف يرتكبون اثماً كبيراً ويغضبون الله ورسوله ، وانهم سوف يخسرون الدنيا والآخرة اذا ما اقدموا على قتله ، كل هذا اراد الإمام بيانه للقوم انطلاقاً من مباديء الدين الإسلامي الذي يؤمن به الجميع ومن حق المسلم على المسلم فيه النصيحة. وهكذا وقف الإمام الحسين عليه السلام ، امام جيوش الأعداء ووجه نداءه إليهم بأسلوب مؤثر تخشع له القلوب ويستفز العواطف ويخاطب العقول لعل فيها بقية من دين فيردع النفوس عن غيها ويكبح نزعة الشر التي انطوت عليها نفوس المخاطبين الذين اصبحوا ضحايا للزيف والخداع والكذب الذي مارسه ساداتهم لينالوا سخط الله وغضبه ويخسروا الدنيا والاخرة. وقف الإمام بين العسكرين فحمد الله واثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه ثم نادى باعلى صوته ليسمعه الجميع.

(أيها الناس اسمعوا قولي ولاتعجلوا حتى اعظكم بما هو حق لكم علي ، وحتى اعتذر إلى الله واليكم عن مقدمي عليكم فأن قبلتم عذري وصدقتم قولي واعطيتموني النصف من انفسكم كنتم بذلك اسعد ، ولم يكن لكم علي سبيل ، وان لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من انفسكم) ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾ يونس/٧١ ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ الاعراف/١٩٦.

فلما سمعت النساء من أهل بيته ارتفعت اصواتهن بالبكاء فارسل إليهن من يسكتهن فلما سكتن ، حمد الله واثنى عليه وصلى على محمد والملائكة والأنبياء ، وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره ، ولم يسمع متكلم قبله ولا بعده ابلغ منه في منطقه[٥] ، ثم واصل خطابه قائلاً: (الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال ، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته ، فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها ، واراكم قد اجتمعتم على أمر قد اسخطتم الله فيه عليكم ، واعرض بوجهه الكريم عنكم واحلّ بكم نقمته ، وجنبكم رحمته ، فنعم الرب ربنا وبئس العبيد انتم ، اقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ثم انكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم ، وقد استحوذ عليكم الشيطان فانساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم ولما تريدون ، وانا لله وانا إليه راجعون ، هؤلاء قوم قد كفروا بعد ايمانهم فبعداً للقوم الظالمين [٦] ، ايها الناس انسبوني من انا ثم ارجعوا إلى انفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ .

ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه ، وابن عمه واول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه ، أو ليس حمزة سيد الشهداء عم ابي ، أو ليس جعفر الطيار عمي ، أو لم يبلغكم قول

رسول الله لي ولاخي (هذان سيدا شباب أهل الجنة) فان صدقتموني بما اقول وهو الحق ، فوالله ما تعمدت الكذب مذ علمت ان الله يمقت عليه أهله ، ويضر به من اختلقه ، وان كذبتموني فان فيكم من ان سألتموه عن ذلك اخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن ارقم وابا سعيد الخدري وانس بن مالك يخبروكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولاخي الحسن ، اما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي).

فقال له الشمر بن ذي الجوشن انا اعبد الله على حرف ان كنت ادري ما تقول ، فقال الإمام الحسين: (فان كنتم في شك من هذا القول أفتشكون انـي ابـن بنـت نبـيكم ؟، فـوالله مـا بـين المشـرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته ، او بمال لكم استهلكته او بقصاص جراحة ، ثم نادى يا شبث بن ربعي ويا حجار بن ابجر ويا قيس بن الاشعث ويا زيد بن الحارث .... ألم تكتبوا الي ، ان اقدم علينا قد اينعت الثمار واخضر الجناب وانما تقدم على جنود لك مجندة.... قالوا لم نفعل قال الإمام: سبحان الله ، بلى والله لقد فعلتم ثم قال: ايها الناس اذا كرهتموني فدعوني انصرف عنكم إلى مأمني من الأرض ، فقال له قيس بن الاشعث: أو لا تنزل على حكم بني عمك..... فقال الإمام الحسين (عليه السلام): انت اخو اخيك أتريد ان يطلبك بنو هاشم اكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ ، والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا اقر اقرار العبيد)[٧] ، عباد الله ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم أَن تَرْجُمُونِ﴾ الدخان / ٢٠. ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ المؤمن / ٢٧[٨] ، نقلت نص هذا الخطاب وما تخلله من حوارات كاملاً لأنه قيل في مقام واحد أراد الإمام ان يبين فيه للمخاطبين طائفة من الاغراض على وفق ترتيب محدد وتحدث عن أمور عدة قصد ايضاحها.

بدأ الإمام خطابه بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ، ثم وجه نداءه إلى هؤلاء القوم بقوله (ايها الناس) ثم اتبع النداء بعدد من الأساليب الإنشائية وكان أسلوب الطلب هو المهيمن على القسم الأول من خطابه لان المقام الذي قيل فيه الخطاب وغرض الإمام منه يتطلبان هذا النوع من التراكيب فالإمام أراد ان يعظ القوم بما هو حق لهم عليه بوصفهم مسلمين وهو إمام عصرهم ، فقد جاء بعد النداء (اسمعوا ، لا تعجلوا) وغرض الإمام من هذا هو تهيأة القوم لسماع ما يريد قوله وما يريد ان يعظهم به وياتي قوله (اعظكم بما هو حق لكم علي) من كونه اماماً مفترض الطاعة ومن أهل البيت فمن حق هؤلاء القوم وهم يدينون بدين جده ان ينصحهم ويبصرهم بعاقبة ما يريدون الاقدام عليه من عمل ، وياتي هذا من باب تطبيق مبادئ الدين الإسلامي في مثل هذه المواقف والقاء الحجة عليهم وهم احرار في قبول ما يقول او رفضه.

وبعد هذا المدخل انتقل الإمام إلى أمر آخر هو تقديم العذر عن مقدمه إلى هذا البلد وقد بنى هذه القرة من خطابه على أسلوب الشرط الذي يرتبط فيه طرفا الخطاب (فان قبلتم عذري..... كنتم اسعد ، وان لم تقبلوا..... فاجمعوا.....) ، ويبدو من

خلال أسلوب الشرط الذي بنى عليه الإمام هذه الفقرة من خطابه انه قدم العذر عن قدومه إلى هذا البلد وقبوله دعوة أهلها فإن قبلوا ذلك منه كانوا اسعد في دنياهم وآخرتهم، وان لم يقبلوا ذلك فهو مستعد للقتال والدفاع عن اهدافه يبدو ذلك واضحاً من خلال الآية التي مثلت جواب الشرط (فاجمعوا أمركم وشركاءكم....) لقد أراد الإمام من هذا القاء الحجة على هؤلاء القوم وهو يعرف انهم لا يقبلون منه ذلك لان الأمر ليس في ايديهم انما هم أداة تنفيذ ولديهم خيار آخر هو النزول على حكم الامويين وقد عبر عن ذلك قيس بن الاشعث في حواره مع الإمام او القتال حتى الموت ، وقد تقدمت الإشارة إلى ان الإمام لا يمكن بأي حال من الأحوال ان يبايع يزيد مهما كانت النتائج وقد اعلن ذلك صراحة في كلامه مع والي المدينة ، ومن هنا لم يكن امامه بد من القتال والإمام الحسين حين خاطب القوم بهذا الأسلوب انما يخاطب قوماً كاتبوه وبايعوه ودعوه إلى القدوم ثم نقضوا بيعتهم وتحللوا من عهودهم وجاءوا لقتاله ومن هنا جاء بناء تراكيب هذه الفقرة على الأسلوب الشرطي الذي يقتضي فعلاً وجواباً وأداة تربط بينهما تجعل زمن السياق مستقبلاً ، والإمام الحسين حين ذكر هذه الأمور لا يريد منها استعطاف القوم او تغيير نواياهم لأنه يعرف انه جاء إلى هذه الأرض ليلاقي المصير الذي وعده به الله ورسوله ويعرف ايضاً ان القوم لن يقبلوا بما طلبه منهم لذا اتخذ قراره الحاسم باختيار القتال ويدل على هذا الاختيار الآيتان اللتان ختم بهما هذه الفقرة من خطابه وبكت النسوة عند سماعها.

وبعد اعلان الإمام اختيار القتال في حال رفض القوم انصافه وقبول ما يطلبه ، انتقل إلى موضوع آخر له صلة بما بدأ به خطابه من وعظ وارشاد ، ذلك انه يعرف انه تهالك القوم على قتاله والخروج عن طاعة الله ورسوله كله من اجل حطام الدنيا ورغبة في ارضاء نزعة الشر عند ولاة الأمر من الامويين ، ومن هنا أراد الإمام ان ينبه هؤلاء القوم إلى نهاية هذه الدنيا ، وقد رسم لهم من خلال تراكيب خطابه صورة هذه الدنيا التي غرتهم فنسوا طاعة الله الذي خلقها وخلقهم لكي يتعظ من يتعظ قال: (الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال ، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال فالمغرور من غرته ، والشقي من فتنته ، فلا تغركم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها).

لقد بنى الإمام تراكيب هذه الفقرة من خطابه بأسلوب يتسم بوضوح الايقاع الموسيقي في مقاطعه لكي يكون اكثر تأثيراً في نفس السامع من خلال ما يبعثه من موسيقى في فواصله (زوال – حال – غرته – فتنته – إليها – فيها) ، ونلحظ ان الإمام استعمل ما يسمى بأسلوب (التشخيص) عند المحدثين في رسم صورة محسوسة لهذه الدنيا، فقد اضفى صفات المحسوسات على المعنويات ، وجاء التعبير عن هذه الصورة بعبارات ذات موسيقى هادئة ينبعث منها نغم مؤثر يأخذ بالاسماع ويدخل القلوب بلا استئذان ، يقول احد الباحثين (اذ اصبحت الدنيا بفضل التصوير الفني من المحسوسات التي تشارك الناس حياتهم اليومية من

خلال ايهام المتلقي بمشاهدتها والاحساس بها حتى تكون الصورة اكثر قدرة على نقل المعنى وتوكيده ، فاتخذ المنشيء من التشخيص وسيلة لتحقيق الآثار النفسية بنقل الدنيا من عالمها المعنوي إلى المحسوس فهي (تغر وتخدع وتفتن وتخيب....)[٩].

لقد جسد الإمام في هذه الكلمات صورة متحركة للدنيا يحس بها كل من يسمعها ، فقد اضفى الإمام على صورة الدنيا من صفات البشر ما يقربها إلى اذهان السامعين ، ويعزز هذه الصورة ويزيدها صدقاً ما يحدث في واقع الحياة الذي يعيشه هؤلاء القوم انفسهم ، فهم يرون انها لا تثبت على حال ولا تدوم لاحد مهما كان سلطانه وقوته ، وكل شيء فيها إلى زوال وفناء ، والعاقل هو الذي يأخذ العبرة من غيره مما يحدث في هذه الدنيا ، ويصرف همه عنها ولا يركن إليها ويطمع فيها ، والخاسر من يشتري داراً مصيرها الفناء والزوال ، وهكذا وضع الإمام الحسين هذه الصورة المؤلمة للدنيا، لكي ينتبهوا إلى ما يقومون به من عمل من اجل هذه الدنيا فهي لا تستحق ان يرتكب الإنسان من اجلها المعاصي فيخسر الدنيا والآخرة ، ويبوء بغضب الله وسخطه ، ويبدو واضحاً تاثر الإمام بما ورد من وصف للدنيا في كلام أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقد رسم حال الدنيا بمثل هذه الصورة[١٠] ، وبعد ان بين الإمام حال الدنيا وطبيعتها لهؤلاء القوم انتقل إلى أمر آخر هو ما يريد هؤلاء القوم الاقدام عليه من اجل هذه الدنيا التي تقدمت صفتها لكي ينتبهوا إلى نتيجة هذا العمل ، يقول: (واراكم قد اجتمعتم على أمر قد اسخطتم الله فيه عليكم واعرض بوجهه الكريم عنكم ، واحل بكم نقمته وجنبكم رحمته ، فنعم الرب ربنا وبئس العبيد انتم ، اقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد ثم انكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم ، وقد استحوذ عليكم الشيطان فانساكم ذكر الله العظيم ، فتباً لكم ولما تريدون ، انا لله وانا إليه راجعون ، هؤلاء قوم قد كفروا بعد ايمانهم فبعداً للقوم الظالمين) [١١].

الناظر في هذه القطعة من الخطاب يجد ان تراكيبها بنيت في اغلبها على التراكيب الفعلية التي توحي بالتجدد والحدوث ، وبدت الجمل فيها بابعاد محددة لتكون سهلة الادراك عند السامعين لان مقام الكلام يتطلب هذه السهولة ليكون الكلام مفهوماً من جميع السامعين ذلك ان الإمام أراد ان يوضح خطورة الأمر الذي اجتمع هؤلاء القوم من اجله لان فيه ما يغضب الله ورسوله ، واذا استمر هؤلاء القوم في تنفيذ ما أمر به ولاتهم الظالمين فسوف يحل عليهم غضب الله وسخطه ويجنبهم رحمته ، وقد اعتمد الإمام بنية الفعل الماضي لتأكيد ان ما يقوله واقع لا محاله (اعرض – احل – جنب) واستعمال الفعل الماضي في مثل هذا السياق فيه دلالة على حتمية وقوع الحدث الذي ذكره الإمام من اعراض الله عنهم وسخطه عليهم واحلال نقمته عليهم..... ويشبه هذا ما ورد في قوله تعالى ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ النحل / ١ ، فهو آت لا محالة ... ثم يستعمل الإمام أسلوب المدح والذم من خلال استعمال الفعلين (نعم وبئس) فالله نعم الرب ، وهو ربنا الذي هدانا وانعم علينا ، اما هؤلاء القوم فبئس العبيد هم لأنهم عصوا أمر ربهم وخالفوا رسولهم

وحرموا الحلال ، واحلوا الحرام ، واتبعوا الظالمين ، ونصروا الحاكم الجائر وتخلوا عن أهل بيت النبوة ، ووقفوا مع الباطل وانكروا الحق وبعد هذا الوعظ الذي اصم الشيطان آذان القوم عن سماعه ، ذكرهم الإمام بانهم مسلمون ، اطاعوا الله ورسوله وآمنوا بما جاء به من مبادئ واهتدوا إلى سبيل الخير والرشاد واخرجهم من الظلمات إلى النور واصبحوا بفضله سادة الدنيا وها هم اليوم يخالفونه ولم يلتزموا بما أوصاهم به فقد ترك فيهم بعد رحيله الثقلين (كتاب الله وأهل بيته) وأوصاهم بالتمسك بهما في إشارة إلى قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) (اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا)[١٢] ، وما يحصل الان في هذا المقام خلاف ما أمر به الله واوصى به الرسول فانتم تزحفون إلى عترته وأهل بيته تريدون قتلهم لكي يرضى عنكم الولاة الظالمون ، وتنصرون الباطل على الحق ، وفي هذا اغضاب لله ورسوله ، وحين لم يجد الإمام اذناً صاغية من هؤلاء القوم ، وصفهم بأنهم قوم استحوذ عليهم الشيطان ، فانساهم ذكر الله ومبادئ دينه الحنيف ، وجعل في آذانهم وقرا فأصمها عن سماع نداء الحق وسماع ما يقوله الإمام ، وعندها دعا الإمام عليهم وعلى ما يريدون بقوله (فتباً لكم ولما تريدون) وقد استعمل الإمام صيغة المصدر في الدعاء بحالة النصب ليكون اكثر توكيداً ويدل على تجدد الأمر واستمراره ثم يسترجع الإمام إلى الله مما يريد هؤلاء القوم الاقدام عليه فإليه ترجع الأمور ، ويصفهم بأنهم قوم ظالمون كفروا بعد ايمانهم بالله ورسوله فبعداً لهم ولأعمالهم التي تكون سبباً في غضب الله ورسوله عليهم وقد استمد الإمام هذا الوصف من القرآن الكريم.

ومن اجل ان يضع الإمام القوم امام واقع الأمر ويبين لهم طبيعة الشر التي سيطرت على نفوسهم وعقولهم فأنستهم كل شيء حتى ذكر ربهم ومباديء دينهم ، لجأ إلى مخاطبة عقولهم وقلوبهم من خلال التذكير بأمور معروفة لديهم ، ويدركها العرب جميعاً ، فلا احد من العرب يجهل ان الحسين هو ابن بنت رسول الله وابن وصيه ، وانه سيد شباب أهل الجنة – يقول: (ايها الناس انسبوني من انا ثم ارجعوا إلى انفسكم وعاتبوها وانظروا – هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ، ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه – أوليس حمزة سيد الشهداء عم ابي ، أوليس جعفر الطيار عمي ، أولم يبلغكم قول رسول اله لي ولاخي. هذان سيدا شباب أهل الجنة).

لقد تغيرت بنية الخطاب في هذه القطعة ، فقد صاغ الإمام تراكيبه بأسلوب مؤثر وعبر عما يريد بأسلوب انشائي بدلاً من الأسلوب الخبري الذي بدأ به خطابه ، وذلك ان هذا المقام يتطلب هذا النوع من الأساليب لأنها اكثر تأثيراً واشد وقعاً في نفوس السامعين فهي تشد السامع إليها وتستلزم منه اجابات محددة لذا يطالعنا الخطاب في هذه القطعة بحشد من الأساليب الإنشائية كل منها يتطلب جواباً من السامعين (نداء ، أمر مكرر ، استفهام ، استفهام انكاري..). وقد شكلت هذه الأساليب بنية هذا المقطع من الخطاب، وقد حشدها الإمام ليشد

إليها اذهان السامعين ويدفعهم إلى التفكير في وضع اجابات لهذه المطالب ، وان كانت معروفة لديهم.

بدأ الإمام خطابه بنداء مؤثر (أيها الناس) ومن الطبيعي ان مثل هذا النداء في مقام يستعد فيه الرجال للقتال وتصطخب فيه أصوات السلاح وتقرع طبول الحرب يوحي بأن المنادي يريد ان يقول شيئاً يستلزم الانتباه والإصغاء ، ويجعل السامع مشدوداً ومتيقظاً لسماع ما يقال ، وحين انصت القوم لهذا النداء اتبعه الإمام بطائفة من صيغ الطلب يتبع بعضها بعضاً وفي كل منها طلب يستلزم جواباً (انسبوا ، ارجعوا ، عاتبوا ، انظروا) ، ويمكن القول ان هذا يأتي من باب تذكير القوم بأمور يستلزم المقام التذكير بها فقد سيطرت على افكارهم نزعة الشر والانتقام فأنستهم كل شيء ، والا فهم يعرفون الحسين ويعرفون جده واباه وامه ، وكل شيء عنه ، وبعد هذا طلب منهم مراجعة انفسهم وقد استعمل مع هذا الفعل اداة العطف (ثم) التي تفيد في السياق دلالة التراخي ووجود مهلة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وهذا ما يقتضيه السياق وطبيعة الفعل (راجع) ذلك ان مراجعة النفس لايمكن ان تكون بصورة متسرعة. وانما تحتاج إلى وقت لاعادة النظر فيما يريد الإنسان الاقدام عليه ، ولو استعمل (الواو او الفاء) وهما يصلحان في هذا الموضع لما وصل إلى الدلالة التي تؤديها (ثم). ويوحى تكرار صيغ الأمر وعطف بعضها على بعض بدلالة الالحاح والتأمل فيما يريد الإنسان الاقدام عليه لان التسرع في مثل هذه المواقف تكون له نتائج غير سليمة.

وبعد سياق الأمر الذي حدد فيه الإمام ما يريده من هؤلاء القوم انتقل إلى سياق اخر من سياقات الطلب وهو الاستفهام ، وقد بنيت تراكيب الاستفهام على الاستفهام الانكاري وهو ما يتطلبه السياق ويحدده المقام ذلك ان الإمام أراد من خلال تكرار هذا الأسلوب اقرار القوم بحقيقة ما يريد قوله ، لذا وجدنا الإمام يسوق في قطعه صغيرة عدداً من تراكيب الاستفهام الانكاري ليثير من خلالها عواطف القوم ويدفع كثيراً منهم للتفكير في وضع اجابات لهذه التساؤلات التي تتابعت في هذا المقطع من الخطاب ويبدو من النص ان الإمام كان دقيقاً في استعمال هذه التراكيب لقد وجه الإمام سؤاله إلى القوم (هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟) وبعد طلبه منهم ان ينسبوه فقد يكون نسبه إلى رسول الله وصلته به رادعاً لهؤلاء القوم عما يريدون الاقدام عليه من أمر. ثم اتبع ذلك بسلسلة من الاستفهام الانكاري كان الغرض منه اقرار القوم واعترافهم ان ما يقوله هو الحق لان جواب هذا النوع من الاستفهام هو اقرار بأثبات مابعده ، ذلك ان بنية الاستفهام الانكاري تدل على اثبات ما بعدها على وجه الحقيقة لذا تكون اجابته بـ (بلى). ففي قوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ التين/٨ وقول الشاعر:

ألستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

يكون باثبات ان الله هو احكم الحاكمين ، والمخاطبين خير من ركب المطايا في نظر الشاعر ، يقول الإمام: (أوليس حمزة سيد الشهداء عم ابي ،

أوليس جعفر الطيار عمي ، أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولاخي – هذان سيدا شباب أهل الجنة).

الناظر في هذه التساؤلات يجد ان مابعدها هو حق ثابت يعرفه المسلمون جيعاً فالحمزة هو عم الإمام علي بن ابي طالب حقاً وصدقاً وجعفر الطيار هو عم الإمام الحسين، وقول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في الحسين والحسين ثابت يعرفه جميع المسلمين ، وسمعه الصحابة من الرسول. كل هذه الأمور وغيرها ثابته يعرفها المسلمون من العرب وغيرهم ، ولم يرد الإمام من ذكرها اخبار القوم بشيء ولم يعرفوه انما اراد من ذكرها اقرار القوم بها حقاً وصدقاً ، وعندها يكون مايريدون الاقدام عليه من قتله وانتهاك حرمته خطأ كبيراً يحاسبهم الله عليه حساباً عسيراً ويخسرون الدنيا والآخرة.

ولذا نجد الإمام يدعو القوم إلى التصديق بما يقوله لانه هو الحق وهو الواقع الذي لاخلاف فيه ولكن نزعة الشر اعمت بصائر هؤلاء القوم وجعلتهم لايفقهون شيئاً مما يقال لهم فقلوبهم غلف عن فهم ما يقال ومن اجل توكيد ما ذهب إليه الإمام وتصديقه يحيلهم إلى سؤال من معهم من الصحابة مستعملاً في ذلك أسلوب الشرط بقول: (فأن صدقتموني بما اقول ... وان كذبتموني فأن فيكم من لو سألتموه عن ذلك اخبركم به...) ثم يحيلهم إلى طائفة من الصحابة لكي يسمعوا منهم ويؤكدوا لهم الحقيقة في هذا الأمر – سلوا جابر بن عبدالله الأنصاري وابا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن ارقم وانس بن مالك – وهذه الطائفة من الاسماء التي ذكرها الإمام في خطابه هي اسماء عدد من الصحابة والتابعين ممن عاصروا رسول الله وسمعوا منه ما قاله في حق الحسن والحسين بأنهما سيدا شباب أهل الجنة – وانهما امامان ان قاما وان قعدا.

لكن هذا الخطاب وما اورده فيه الإمام من احتجاج صادف من القوم قلوباً كالحجارة او اشد قسوة ، واسماعاً فيها وقر عن سماع نداء الحق ، قلوباً سيطر عليها الشيطان فأعماها عن رؤية الخير ، قلوباً تمكنت منها نزعة الشر فنزعت منها كل رحمة ، وعقولاً سيطر عليها حب الدنيا وزينتها فشغلها عن التفكير بالآخرة ، لقد اصم الشيطان آذانهم واعمى ابصارهم فلم يفرقوا بين نور الحق وظلام الباطل ولم يميزا بين بياض الصبح وسواد الليل فلم ينتفعوا منها بشيء وصدق عليهم قول الشاعر.

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم

ولأنهم هكذا يجيبه جلف جاف يقال له شمر بن ذي الجوشن انا أعبد الله على حرف ان كنت ادري ما تقول هذا جواب مجرم كافر سفاك نزع الله الرحمة والانسانية من قلبه وجعله لايفقه شيئاً مما حوله فهو بهيمة كما وصفه احد أصحاب الإمام الحسين.

وحين وجد الإمام الحسين هؤلاء القوم لايسمعون خطاباً ولايفقهون قولاً ، وهم ينكرون كل ماسمعوه وما فعلوه وجه نداء خاصاً إلى الملأ منهم وخصهم بأسمائهم قال: (يا شبث بن ربعي ويا حجار بن ابجر ويا قيس بن الاشعث ويا زيد بن

الحارث ... ألم تكتبوا الي ان اقدم قد اينعت الثمار واخضر الجناب ، وانما تقدم على جنود لك مجندة...).

لقد انتقل الإمام إلى الحوار مع هؤلاء القوم بعد ان القى عليهم الحجة ووعظهم بما هو حق لهم عليه ، وبين لهم طريق الحق والهدى فوجد انهم لا يسمعون خطاباً ، ولا يملكون جواباً لما يقول لقد استحوذ عليهم الشيطان فانساهم كل شيء ، وانكروا ما سمعوا وما فعلوا ، ولم يعرفوا سوى لغة الحرب ، وقد وصف احد الادباء هذا الموقف بقوله:

لم انسه اذ قام فيهم خاطباً فاذا هم لا يملكون خطاباً
فغدوا حيارى لا يرون لو عظه الا الاسنة والرماح جواباً
صلت على جسم الحسين سيوفهم فغدا الساجدة الظبا محراباً

لقد خص الإمام جماعة ممن كاتبوه وطلبوا منه القدوم إلى العراق وعاهدوه ان يبذلوا ارواحهم واموالهم دفاعاً عنه وهم الآن في صف اعدائه ويحملون اسلحتهم عليه ، ويعدون العدة لقتاله ، وهو موقف يثير العجب ، واغرب منه جوابهم للإمام حين وجه إليهم النداء باسمائهم ، لقد اجابوه ، اننا لم نفعل ، لقد كذبوا على الله وعلى الناس وتنكروا لكل ما فعلوه ، وامام هذا الجواب الذي يثير الاستغراب اضطر الإمام إلى استعمال أسلوب فيه من القوة والتوكيد ما يدل على كذب هؤلاء الرجال ، فقد استعمل الإمام في سياق رده على جوابهم القسم والتوكيد والتعجب من فعل هؤلاء وجوابهم قال: (سبحان الله والله لقد فعلتم) بدأ الإمام رده على جوابهم بالتعجب مما قالوه ثم اتبعه بحرف الجواب (بلى) وهو حرف يجاب به في سياق النفي ، اجاب به قولهم (لم نفعل) ، ثم اتبع ذلك بقسم عظيم بلفظ الجلالة ومؤكدين هما (اللام وقد) والله لقد فعلتم ، نعم فعلوا كل ذلك صدقت يا سيدي يا ابا عبد الله ، صدقت وهم الكاذبون فقد كاتبوك ودعوك إلى القدوم وقالوا انما تقدم على جند لك مجندة ، ثم تنكروا لكل ما فعلوه ، وأصبحوا في صف اعدائك.

وبعد رد الإمام على جوابهم (لم نفعل) بالصورة التي تقدمت استمر الإمام في حواره مع القوم مستعملاً أسلوب الشرط الذي تكرر كثيراً في خطاباته مع هؤلاء القوم (ايها الناس اذا كرهتموني فدعوني انصرف عنكم إلى مأمن من الأرض) ، ان ما ورد في هذه الفقرة يعد حجة يلقيها الإمام على هؤلاء القوم وهو يعرف ان الأمر ليس في ايديهم ويعرف ان مصرعه ومثواه في هذه الأرض وقد عبر عن ذلك حين وطأت قدماه ارض كربلاء ، وهو لا يريد الانصراف من هذا المكان ولو افترضنا انهم سمحوا بذلك لما فعل الإمام منه شيئاً لانه ماضٍ لاداء رسالة لا يمكنه التراجع عنها ، ويقول له قيس بن الاشعث (او لا تنزل على حكم بني عمك فانهم لن يروك الا ما تحب.....).

وحين سمع الإمام هذا الكلام منه ، غضب منه وتغيرت لهجته وأسلوب خطابه معهم ، لان هذا الرجل هو اخو محمد بن الاشعث الذي يطلبه بنو هاشم بدم مسلم بن عقيل ، رسول الإمام الحسين إلى أهل الكوفة فيرد عليه الإمام بأسلوب غاضب قائلاً: (انت اخو اخيك أتريد ان يطلبك بنو هاشم اكثر من دم مسلم بن عقيل ، لا والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا اقر اقرار العبيد عباد الله) ﴿وإِنِّي عذْت بِربِّي وربِّكم أَن ترجمونِ﴾ الدخان / ٢٠.

﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ المؤمن / ٢٧.

لقد كانت التراكيب التي الفت بنية هذا الخطاب فيها دلالة على الغضب والقوة في الوقت نفسه وهذا ما يتطلبه المقام لان الإمام الحسين لم يخرج إلى العراق لينزل على حكم الامويين ويبايع يزيد بالخلافة لأنه رفض هذا الأمر وهو في المدينة ، ومن هنا فقد خرج ثائراً ورافضاً لبيعة يزيد بن معاوية ، فلا يمكن باي حال من الأحوال ان يتقبل مثل هذا العرض من قوم قتلوا اخيه وابن عمه واجتمعوا لقتاله ، لذا نراه يطلق تلك العبارة التي مثلت قراره الحاسم في هذا الأمر وهو القتال الذي لابد منه من اجل احياء الدين والدفاع عنه ضد ظلام الكفر والطغيان ، تلك العبارة التي اصبحت فيما بعد شعاراً خالداً لكل الثائرين من اجل الحق والكرامة ، ولكل مظلوم في وجه من ظلمه ، وقد بنيت هذه العبارة بألفاظ وتراكيب يتفجر الغضب والرفض من كل كلمة منها ، بدأت بالقسم بلفظ الجلالة وهو قسم عظيم يستعمل في الأمور الكبيرة والعظيمة وتكررت فيها اداة النفي ثلاث مرات على قصرها لتوحي بدلالة الرفض الشديد لما طلب منه ولا شك ان مثل هذا التكرار فيه دلالة على التوكيد وقوة نفي المراد ، نعم لقد خرج الإمام ثائراً من اجل نصرة الحق والدفاع عن الدين ووضع كل شيء في مكانه الصحيح وسوف يستمر في هذا المنهج مهما كان صعباً ومهما كان الثمن غالياً اما النصر واما الشهادة ،، لقد خرج الإمام الحسين من اجل الكرامة خرج ليقدم نفسه ومن معه قرابين من اجل دين محمد لان في موته انتصار الحق على الباطل وانتصار الدم على السيف وسوف يكون مخلداً في الدنيا والآخرة وهذا ما تدل عليه العبارات التي استعملها الإمام في خطابه مع هؤلاء القوم ، وعبر فيها عن رفضه لبيعة الظالمين ، رفضها في كربلاء كما رفضها من قبل في المدينة.

٣- خطاب الإمام الحسين في يوم عاشوراء.

تذكر الروايات التي تحدثت عن واقعة كربلاء في مصادرها المختلفة ان الإمام الحسين بعدما رأى عزم القوم على قتاله واصرارهم على تنفيذ اوامر الطغاة وعدم استماعهم إلى نداء الحق والعقل ، ركب جواده واخذ مصحفاً ونشره على رأسه ووقف بازاء القوم وقال: (يا قوم ان بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله ثم سالهم عما اقدمهم على قتله ، قالوا: طاعة للامير عبيد الله بن زياد) ، فقال:[١٣] (تباً لكم ايتها الجماعة وترحاً ، أحين استصرختمونا والهين فاصرخناكم موجفين ، سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم ، فاصبحتم إلباً لاعدائكم على اوليائكم بغير عدل افشوه فيكم ولا امل اصبح لكم فيهم ، فهلا لكم الويلات ، تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن ، والرأي لما يستحصف ، ولكن اسرعتم إليها كطيرة الدبا وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ، ثم نفضتموها فسحقاً لكم يا عبيد الامة وشذاذ الاحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ، ومطفيء السنن ، وبحكم أهؤلاء تعضدون وعنا تخاذلون ؟ اجل والله غدر فيكم قديم وشجت عليه

اصولكم وتآزرت عليه فروعكم ، فكنتم اخبث ثمر ، وشجى للناظر ، وآكلة للغاصب ، الا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين ، بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة ، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حمية ونفوس أبيه من ان نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ، الا واني زاحف بهذه الاسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر) ثم انشد ابيات فروه بن مسيك.

فان نهزم فهزامون قدماً وان نهزم فغير مهزمينا
وما ان طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا
اذا ما الموت رفع عن أناس كلا كله اناخ بآخرينا
فلو خلد الملوك اذن خلدنا ولو بقي الملوك اذن بقينا
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

اما والله لا تلبثون بعدها الا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور ، عهد عهده إلي أبي عن جدي﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾يونس / ٧١ ، ﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴾ هود / ٥٥.

(انَي توكلت علَى الله ربي وربكم وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على سراط مستقيم ، اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنيناً كسني يوسف ، فانهم غرونا وكذبونا وانت ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير)[١٤].

الناظر في بنية هذا الخطاب وتراكيبه وأساليب التعبير فيه يجده يختلف بصور تامة عما تقدم من خطابات الإمام من خلال مسيرته ذلك ان هذا الخطاب جاء في مقام استنفذ قبله الإمام الحسين كل الوسائل الممكنة لاقناع القوم بما هو مطلوب منهم ، ومن هنا جاء هذا الخطاب ليمثل اعلان القتال الذي لا مناص منه وبيان استعداده لمواجهة القوم الظالمين ومن هنا أراد الإمام الحسين لهذا الخطاب ، وهو الاخير قبل بدأ القتال ، ان يكون مختلفاً في أسلوبه وتراكيبه اللغوية اولاً ، وأراد الإمام الحسين لنفسه ان يظهر امام القوم بمظهر يختلف عما ظهر به في خطاباته السابقة ، وقصد الإمام من هذا ان تكون هيأته حجة اخرى على هؤلاء القوم الذي يعقدون العزم على قتل ابن بنت نبيهم وابن وصيه ، تقول الرواية: (ان الإمام الحسين ركب جواده واخذ مصحفاً ونشره فوق رأسه ثم حمل سيف النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ولبس درعه واعتم بعمامته السحاب) (١٥) لقد اظهر الإمام من خلال هذه الهيأة انه الوارث الشرعي لجده رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وانه يحمل من ميراث جده اهم ما يعتز به العربي في حياته سلاحه ودرعه وعمامته، لقد جسد الإمام من خلال هذه الهيأة صورة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ليتعظ بها من لم يتعظ بالكلام انها صورة تعود بذاكرة القوم إلى ايام الرسالة والدعوة المحمدية وتذكرهم بشخص الرسول وكأنه ماثل امامهم الآن ، وهم يرون في شخص الحسين وهو يتقلد سيف الرسول ويعتم بعمامته شخص الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) واذا تجاوزنا الهيأة التي برز فيها الإمام الحسين لمخاطبة القوم إلى بنية الخطاب الذي تحدث به امامهم بهذه الهيأة نجد فيه اختلافاً كبيراً في أسلوبه وبناء تراكيبه والهدف منه ،

واذا كان الطابع المهيمن في خطاباته السابقة هو الوعظ والارشاد فان طابع هذا الخطاب هو اللوم والتقريع والدعاء على القوم لقد جاءت تراكيب هذا الخطاب محملة بشحنات دلالية مكثفة لترسم صورة الغضب الحسيني على القوم الذين استحوذ عليهم الشيطان ، وتنهي لغة الحوار والخطاب التي بدأها الإمام مع هؤلاء القوم من اول لقاء مع الحر وأصحابه ، وتحل محلها لغة السلاح والقتال ، ذلك ان كل ما وعظ به الإمام وما ذكرهم به لم يجد نفعاً معهم ولم يغير شيئاً من افكارهم.

ويمكن ان نلمح في بنية هذا الخطاب ثلاثة اتجاهات.

١- الاتجاه الأول : توبيخ القوم وتأنيبهم بقسوة على عدم استجابتهم لنداء العقل وما ارتكبوه من ظلم بحق أهل البيت ، ويبدو واضحاً ان المقام اقتضى هذا النوع من الخطاب القاسي لأنه يخاطب قوماً عقدوا العزم على قتله ومن معه ، ولم يتعظوا بكل ما قاله لهم ولم يحفظوا قرابته من رسول الله.

الاتجاه الثاني : يمثل القرار النهائي الذي اتخذه الإمام نظراً لاصرار القوم على القتال وعدم الاستجابة لكل ما بينه لهم الإمام فلم يبق امام الحسين من خيار سوى المركب الصعب وهو القتال حتى النصر او الشهادة.

الاتجاه الثالث: بيان النهاية الحتمية لهؤلاء القوم وما ينتظرهم من مصير مظلم بعد قتلهم الإمام الحسين ولا يكون ذلك بعيداً انما هو قريب جداً وقد وصفه الإمام بقوله (ريثما تركب الفرس) كناية عن سرعة نهايتهم.

بدأ الإمام خطابه بالدعاء وقد هيمن الأسلوب الإنشائي على بنية المقطع الأول من الخطاب (دعاء ، نداء ، دعاء ، استفهام ، تحضيض...) ، وهذا ما يلائم المقام الذي القى فيه الإمام خطابه فقد قصد منه تانيب القوم وتقريعهم بعد استنفاد وسائل الاقناع معهم لردعهم عما يريدون الاقدام عليه من عمل فيه اغضاب الله ورسوله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: (تباً لكم ايها الجماعة وترحاً ، أحين استصرختمونا والهين فاصرخناكم موجفين ، سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم ، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم).

حين ننظر في الكلمات والتراكيب التي تالف منها هذا المقطع نجد انها تندفع بقوة من نفس يحز الالم في جوانبها لتقرع اسماع هؤلاء القوم وتقض مضاجعهم ، وهي تحمل في طياتها شحنات من العتاب المر الذي خرج إلى دلالة اللوم الشديد والتقريع.

بدأ الإمام خطابه بالدعاء على هؤلاء القوم مستعملاً صيغتين من صيغ المصادر بحالة النصب (تباً وترحاً) وهذا يعني انه بنى هذا الأسلوب من الدعاء على التركيب الفعلي الذي يدل على الحدوث والتجدد ، وكأنه يريد لهذا الدعاء ان يظل مستمراً ومتجدداً على هؤلاء القوم في حياتهم وبعد مماتهم ، وكأن الله قد استجاب هذا الدعاء من الإمام الحسين فظلت اللعنة تلاحقهم إلى يومنا هذا وبعد الدعاء وجه الإمام استفهاماً كبيراً للقوم عن مقابلة الإحسان بالإساءة ، وقد جعل الاستفهام مسلطاً على الظرف

لتأكيد الزمن الذي استجاب فيه الإمام لدعوة القوم ، لقد كان هذا الاستفهام يلاحق القوم ويقرع اسماعهم باحثاً عن جواب لا يملكونه ويبدو من خلال النص ان الإمام ناسب بين نهايات التراكيب بألفاظ متماثلة في الايقاع الصوتي (والهين ، موجفين ، ايمانكم ، عدوكم) ، لتضفي على الخطاب جواً من الموسيقى المتناغمة وقد منح صوت النون الذي تكرر ست مرات في هذا المقطع نوعاً من التنغيم الهادئ المؤثر وكأنه يوحي بالهدوء الذي يسبق العاصفة ، وحين نركز في البنية الصوتية لألفاظ هذا المقطع نجد ان الإمام قصد ادخالها في مواضعها قصداً لما في دلالة اصواتها ومن ايحاءات بالتعبير عن ظلال من المعاني الهامشية تؤلف الصورة النهائية للمقطع فالألفاظ (تباً وترحاً ، استصرختمونا ، حششتم) ازدحمت فيها طائفة من الأصوات الشديدة والأصوات التي فيها تكرار لتوحي بجو من الغضب والألم يقول احد الباحثين: (كشفت الأصوات الشديدة (الباء ، والتاء) وصوت المد الالف وسعته وارتداد صوت الراء في الألفاظ (تباً وترحاً) عن الغضب الشديد والألم)[١٦].

اما لفظة (استصرختمونا) باصواتها الاحد عشر ومقاطعها الستة فقد استعملها الإمام بدلاً من دعوتمونا لأنها تؤدي دلالة لا يمكن ان تؤديها (دعوتمونا) ذلك ان الاستصراخ يكون في الحالات القاسية والصعبة وقد اضفى تقارب المخارج في اصوات هذه المفردة والصفير الذي يبدو واضحاً من خلال صوتي الصاد والسين وطول هذه المفردة وتعدد اصواتها كل ذلك يوحي بدلالة القلق والاضطراب وهي مذكورة صفة تلازم من يستصرخ غيره وتتطلب من المتلقي سرعة الاستجابة ، وهذا ما يمثل طبيعة أهل العراق حين دعوا الإمام وطلبوا منه القدوم إلى بلدهم ، فقد كان حالهم يسودها الاضطراب والقلق والخوف وقد اتضح ذلك من كثرة الرسائل والوفود التي ارسلوها إلى الإمام وفيها الحاح شديد على طلب القدوم منه – ولهذا عبر الإمام عن سرعة استجابته لهذا الاستصراخ بقوله (فأصرخناكم مو جفين) وهذا التركيب فيه ايحاء بالدلالة على سرعة الاستجابة وقوتها لان الايجاف في اللغة يدل على قوة الاستعداد وسرعة الاستجابة ، لقد كان استعمال الإمام دقيقاً في التعبير عن وضع أهل العراق واستجابته لدعوتهم ، فقد كانوا في وضع يسوده الاضطراب والقلق والحيرة وقد وجدوا في شخص الإمام الحسين منقذاً لهم من هذا الوضع فانهالت عليه كتبهم ورسلهم بالحاح ، وحين استجاب الإمام لما طلبوه وقدم إلى بلدهم وجدهم بوجه آخر وهو ما عبر عنه في المقطع الثاني من خطابه وأوضح لهم فيه الخطأ الكبير الذي انزلقوا إليه والمأزق الكبير الذي اوقعوا فيه انفسهم فهم بدلاً من الوقوف مع الإمام الذي أسرع إلى اجابة دعوتهم واستصراخهم له وقفوا في صف اعدائه وحملوا اسلحتهم لقتاله وسلوا سيوفهم لقتله وهو موقف يثير الاستغراب والتساؤل عما غير افكارهم وجعلهم يختارون الوقوف مع الظالم ضد المظلوم ومع الباطل ضد الحق ويختارون الدنيا الفانية على الآخرة الخالدة. يقول: (سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم ، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا

وعدوكم ، فأصبحتم إلباً لاعدائكم على اوليائكم بغير عدل افشوه فيكم ولا أحل اصبح لكم فيهم) لقد كان الإمام الحسين واضحاً في هذه الفقرة من خطابه فقد كشف عن هذا التغير العجيب في مواقفهم والانقلاب السريع في افكارهم ونواياهم مستعملاً صيغة الفعل الماضي للدلالة على انتهاء الحدث ووقوعه (سللتم – حششتم – اصبحتم). قال الإمام هذا لان من دعاه إلى القدوم ونذر نفسه لنصره يقف الان في صف اعدائه ، والسيف الذي ادخره الإمام في ايمانهم لقتال عدوه وعدوهم يرفعونه اليوم في وجهه ويسلونه لقتله وقتل أصحابه ، والنار التي اقتدحها الإمام فيهم لتحرق الأعداء توجهت السنة لهبها إلى نحر الحسين وأصحابه.

لقد حملت هذه القطعة من الخطاب عتاباً مراً لهؤلاء القوم على ما فعلوه بأنفسهم وما يريدون فعله وقد حملت الألفاظ التي تألفت منها تراكيب هذه القطعة دلالات تعبر عن شدة الألم الذي سببه هؤلاء القوم للإمام الحسين.

فألفاظ مثل (اقتدحناها وحششتم وإلباً) تحمل في طياتها وتأليف اصواتها دلالة على التكثير وقوة الاتقاد والكثافة والتغير والانقلاب[١٧].

لقد كان الإمام صريحاً في حديثه مع القوم عن واقعهم وزيف حياتهم ، حدثهم عن استجابته السريعة لاستصراخهم ثم انكفأوا عليه واصبحوا مع اعدائه ، على الرغم من ان هؤلاء الاعداء ام يسيروا معهم بعدل ولم يكن لهم امل فيهم سوى العيش الخسيس[١٨] وحياة الذل والهوان.

لقد وجه الإمام اللوم لهؤلاء القوم لأنهم ارتضوا هذا الواقع لانفسهم واصبحوا يداً لاعدائهم على اوليائهم ، ولم يسلكوا طريق الحق في التعامل مع الإمام الحسين حين قدم إلى بلدهم بدعوة منهم فخذلوه ولم يكتفوا بالخذلان انما وقفوا في صف اعدائه وحملوا سيوفهم لقتله يقول: (فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف ، ولكن اسرعتم إليها كطيرة الدبا ، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ثم نفضتموها ، فسحقاً لكم ياعبيد الامة ونبدة الكتاب ومحرفي الكلم وعصابة الاثم ونفثة الشيطان ومطفيء السنن).

لقد بنى الإمام هذه القطعة من خطابه بتراكيب تنبعث منها رياح التأنيب والعقاب المر لهؤلاء القوم على ما ارتكبوه من اخطاء بحق اوليائهم من أهل البيت ، وقد بدأت القطعة بالتحضيض وهو أسلوب يدل على اللوم الشديد والتوبيخ ثم اتبعه بالدعاء عليهم لانهم تخلوا عن أهل البيت وتركوهم في وقت لم تتضح فيه الامور ولم تستقر الاراء باتجاه ثابت فما اسرعهم في الانقلاب والتخلي عن العهود والمواثيق وعن البيعة التي اسرعوا إليها وتهافتوا عليها ، وقد استعمل الإمام تشبيهاً جميلاً لوصف هذه الحالة وهو وصف مستوحي مما ورد في نهج البلاغة عن هذا الأمر[١٩] يقول: (اسرعتم إليها كطيرة الدبا وتداعيتم عليها كتهافت الفراش). لقد عبر الإمام بهذا الوصف عن صورة تحمل طائفة من المعاني الحسية (السرعة الكثرة الضعف). يقول احد

الباحثين: (وقد تجلى من خلالها عمق المعنى القائم على ان العهود والمواثيق في الكتب قد جاءت لضعف هؤلاء القوم وعدم قدرتهم على مقاومة الظالم فأسرعوا وتدافعوا للاستنجاد بأمامهم ولكن هذا الاسراع والتزاحم لم يأت عن بصيرة ، وانما جاء رغبة وطمعاً في الدنيا فحالهم كحال طيرة الدبا التي تتسابق نحو النور وتزدحم فتمتاز بسرعتها الناجمة عن حفة وزنها وضعفها وهي بذلك تشابه هؤلاء القوم في الكثرة والسرعة والضعف) (٢٠).

لقد كانت هذه الصورة دقيقة جداً في وصف هؤلاء القوم وكان اختيار الإمام لهذا النوع من الكائنات (الدبا والفراش) موفقاً في تصوير حالة القوم ذلك (ان هذا الكائن لما كان بهذا الحجم من الصغر فهذا دليل على ضعفه وهوانه ، فكذلك حال أهل الكوفة فهم بهذه الدرجة من الضعف والهوان والمسكنة حينما ارسلوا كتبهم ورسلهم التي تطلب المنقذ والمخلص لهم من ضنك التعسف والجور) (٢١).

ويبدو واضحاً من خلال ما تقدم ان هذه الصورة رسمت لوحة الموقف رسماً يقترب من الماديات. وقد سيق للإمام علي (عليه السلام) ان رسم مثل هذه الصورة لبيعته في نهج البلاغة.

وبعد هذا الصورة التي تكاد تنطق بحال هؤلاء القوم انتقل الإمام إلى الدعاء عليهم بقوله (سحقاً لكم) ويبدو واضحاً ان استعمال الدعاء بهذا الأسلوب فيه دلالة على ارادة الاستمرار والتجدد لانه مبني على التركيب الفعلي ، ثم يضع الإمام طائفة من التراكيب التي تصف هؤلاء القوم وتجسد الصورة الحقيقية التي تتمثل فيهم ، والناظر في هذه التراكيب يجد في كل تركيب منها صورة جديدة تختلف عنها في التركيب الاخر وحين تأتلف هذه الصور مع بعضها ترسم لنا لوحة متكاملة الابعاد وتمثل الوجه الاسود الكالح لهم فهم (عبيد الامة ، شذاذ الاحزاب ، ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصابة الاثم ونفثة الشيطان ومطفي السنن ، وقتلة اولاد الانبياء ...). كل هذه الصفات السيئة تمثل الصورة الحقيقية التي عليها هؤلاء القوم. ولا يمكن لشخص فيه هذه الصفات ان يكون مستقيماً في حياته وتصرفاته ولاشك ان كل واحدة من هذه الصفات كفيلة ان تهد مجتمعاً بأكمله فكيف بها حين تجتمع كلها.

وبعد هذا الوصف المتتابع لهؤلاء القوم خاطبهم بقوله: (ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون ، أجل والله غدر فيكم قديم وشجت عليه اصولكم ، وتآزرت عليه فروعكم، فكنتم اخبث ثمر ، شجى للناظر ، واكلة للغاصب ...).

بدأ الإمام بلفظة (ويحكم) وهي توحي بشدة اللوم والتأنيب الممزوج بالتعجب وقد عزز هذا وجود همزة الاستفهام في هذا السياق وهي تحمل دلالة واضحة على العجب من موقف هؤلاء القوم وقد جعل الإمام الاستفهام مسلطاً على الاسم دون الفعل لأنه لايريد التعجب من فعلهم انما أراد التعجب من نصرهم هؤلاء القوم الظالمين ولهذا قدم هؤلاء على الفعل تعضدون لان الحدث قد وقع وأصبح حقيقة فهم تخاذلوا عن الإمام ووقفوا مع اعدائه وشهروا سيوفهم ضده ، وهذا هو الواقع الذي هم عليه الان ، فلا يستغرب الإمام من هذا الحدث لان الغدر

صفة ملازمة لهم وقد سبق لهم ان غدروا بأبيه وأخيه وابن عمه ، فليس بمستغرب منهم ان يغدروا به وقد بنى الإمام تراكيب كلامه على البنية الاسمية التي تدل على ثبات هذا الوصف ودوامه ، وقد قدم الإمام لفظة الغدر بصيغة التنكير لتكون شاملة ويكون الاهتمام موجهاً إليها ، وقد وصف غدرهم بأنه قديم فيهم يقول (وشجت عليه اصولكم وتآزرت عليه فروعكم). ويمكن ان نلمح تأثير البناء الصوتي للفعل (وشجت) بأصواته التي تفاوتت بين الشدة والرخاوة[٢٢]. في الدلالة على شدة الترابط والتلاحم يقول احد الباحثين (فيها ايحاء يفضي إلى شدة التلاحم والتشابك في الفروع والاصول لهؤلاء القوم قد لايصوره لفظ اخر ، فمنح الفعل (وشج) دلالة ايحائية سرحت بذهن المتلقي إلى صورة تلك الجذور المتشابكة وتقاسم الحياة البشرية في جزأين (الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة) [٢٣].

وفي ضوء هذه الصفة التي وشجت عليها الأصول وتآزرت عليها الفروع فقد أصبحوا يمثلون اخبث الثمر الذي يشجي عين الناظر إليه ويؤديها ، وصاروا من ذلهم وهوانهم اكلة للغاصبين فلا يستطيعون رداً ولا يمتلكون القدرة على مواجهة الظلم.

وبعد هذا الوصف الدقيق الذي قدمه الإمام ورسم من خلاله صورة لحقيقة هؤلاء القوم وواقعهم انتقل في خطابه إلى أمر في غاية الأهمية حدد من خلاله القرار النهائي الذي اراده هو وأصحابه يقول: (الا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين ، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وانوف حمية ونفوس أبيه من ان نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، الا واني زاحف بهذه الاسرة مع قلة العدد، وخذلان الناصر)ثم تمثل بأبيات فروه بن مسيك:

فإن نهزم فهزامون قدماً وان نهزم فغير مهزمينا

... وقد تقدم ذكرها.)[٢٤].

بدأ الإمام هذه الفقرة من خطابه باداة التنبيه (ألا) ليلفت نظر القوم إلى المسألة التي يريد الإشارة إليها وبيانها وتتمثل بتحديد نسب هذا الأمير الذي يسيرون بأمره وينفذون ارادته ، وقد وصفه الإمام بصفة هي الحقيقة التي يعرفها أهل العراق فعبيد الله بن زياد ابوه من ادعياء العرب وقد ادعاه ابو سفيان والحقه بنسبه وكان قبلها يسمى زياد بن ابيه فهو دعي في النسب ولذا جاء وصف الإمام بأنه دعي ابن دعي ، لقد أراد الإمام من خلال هذا ان يذكر القوم بحقيقة قد تكون غائبة عن الأذهان هي ان هذا الرجل الذي يأتمرون بأمره وينفذون رغبته ويتابعونه ويخذلون ابن بنت نبيهم وولي أمرهم هو من ادعياء العرب المطعون في نسبهم.

وبعد تذكير الإمام هؤلاء القوم بواقع هذا الأمير اخبرهم انه ركز بين اثنتين بين السلة والذلة. ويقصد الإمام بهذا القول الخيارات التي يريدها ابن زياد وهي الخضوع لاسياده من بني امية او القتل. وعندما يطلق الإمام كلمته المشهورة التي اصبحت فيما بعد شعاراً خالداً للمسلمين عامة وشيعة أهل البيت خاصة (هيهات منا الذلة) والناظر في بنية هذا التركيب يلمح فيه دلالة على الرفض القاطع

للنزول على حكم يزيد لان اسم الفعل هيهات الذي بدأ به التركيب فيه دلالة على معنى البعد الذي لا حدود له ، حتى يصل إلى معنى الاستحالة لحدوث ما بعده.

وتقديم شبه الجملة (منا) على الذلة فيه دلالة كبيرة على تأصيل الرقض عن الإمام وأصحابه وتأكيده ، وفيه تخصيص لهذا المبدأ فيهم. ومن هنا (فأن شيئاً من ذلك لم يحصل لان الذلة الحقيقية انما تحصل لو حصلت المبايعة للحكم الاموي والخضوع له ، تلك هي الذلة التي تجنبها الحسين (عليه السلام) بكل جهده وضحى ضدها بنفسه) [٢٥].

وفي هذا السياق يبين المرتكزات الأساسية لرفضه الذلة والخضوع لإرادة الظالمين ومن اهم هذه المرتكزات ان الله ورسوله والمؤمنين لايرتضون منه ذلك ، وتأبى ذلك ايضاً حجور طابت وطهرت ونفوس ابيه وانوف حميه. وهذه هي صفات الحسين وأصحابه التي لا يمكن لها بأي حال من الأحوال تقبل الذل والهوان مثلما يفعل غيرهم من البشر ومن هنا كان الاختيار الصعب والقرار الشجاع الذي اتخذه الإمام وأصحابه ، انه خيار الحرب والقتال بالرغم من عدم التكافؤ بين الفريقين في العدد والعدة والايمان بالقضية. وقد عبر الإمام عن هذا القرار بقوله (الا واني زاحف بهذه الاسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر). ان هذه التراكيب تمثل اعلان القتال ودخول الحرب بالرغم من كل الصعوبات التي تحيط بالإمام وأصحابه من قلة العدد والعدة وتخلي الناس عن نصرهم ، نعم قرر الإمام خوض المعركة مهما كانت النتيجة التي تصل إليها لذا نراه يحدد نتيجة القتال من خلال تمثله بأبيات فروه من مسيك المرادي التي وظفها الإمام في سياق خطابه توظيفاً رائعاً فجاءت دلالاتها منسجمة مع سياق الخطاب ومعبرة عن رأي الإمام في هذه المعركة. ذلك ان واقع الحال في كل معركة ان تنتهي بانتصار احد الفريقين وخسران الاخر على الأرض وهذا الواقع هو الذي جسدته هذه الابيات بدقة. فالإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه فرسان العرب وشجعانها وقد شهدت لهم ميادين القتال ومعارك المسلمين ، وهم ينطلقون من عقيدة راسخة في نفوسهم وهم أصحاب حق مغتصب دعوتهم شهادة في سبيل الله ورسوله ، وقتالهم جهاد في سبيل العقيدة ونصرة أهل البيت ، ومن هذه المباديء يستمدون القوة والصمود في قتالهم مع الأعداء الظالمين ، فأذا هزموا اعداءهم فهذه هي عادتهم في قتالهم مع الأعداء ، وان كانت الاخرى وهمزمهم اعداؤهم وكسبوا المعركة فلم يحدث هذا عن جبن وتقصير او خوف او تردد في القتال ، انما هو أمر مقدر وهو وقت منياهم وحياة الاخرين ودولتهم ، وان تحقق هذا فهو نصر مادي لا قيمة له في الواقع وسوف تكون نهاية الظالمين الخزي وخسران الدنيا والاخرة. وهذا ما صورته الابيات التي تمثل بها الإمام في خطابه وتقدم ذكرها.

فأن نهزم فهزامون قدماً وان نهمزم فغير مهزمينا
وما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وقبل ان يقع السيف بين الفريقين فيكون كل منهما امة كما عبر عن ذلك احد أصحاب الحسين ، بين الإمام الحسين لهؤلاء القوم النهاية التي تنتظرهم بعد قتله واخبرهم ان الدنيا التي باعوا كل شئ من اجلها لن تدوم لهم ولن يطول بفاؤهم فيها وسوف يخسرون دنياهم كما خسروا آخرتهم يقول: (اما والله لاتلبثون بعدها الا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور عهد عهده الي ابي عن جدي ...).

لقد كان وعداً صادقاً وسريعاً كما وصفه الإمام فلم يلبثوا بعد قتله الا قليلاً وسلط الله عليهم من يقتلهم ويمزقهم شر تمزيق وباءوا بغضب الله وسخطه ، وكان مصيرهم النار فخسروا الدنيا والآخرة. بدأ الإمام هذه الكلمة بأداة الاستفتاح (أما) ثم اعقبها بالقسم لكي يؤكد لهم صدق مايقول ، وهو انهم لايتمتعون بهذه الدنيا التي قتلوه من اجلها ولن يلبثوا فيها إلا قليلاً من الوقت وقد استعمل الإمام الكناية للدلالة على سرعة خروجهم من هذه الدنيا بقوله (الا كريث ما يركب الفرس) ونلمح في هذا التركيب دلالة على قرب نهايتهم وسرعتها ذلك ان هذه الدنيا لا يمكن ان تدوم لاحد ولايثبت فيها سلطان فهي متصرفة بأهلها من حال إلى حال وقد وصف الإمام حركة الدنيا بدوران الرحى على محورها ، لقد كان الإمام دقيقاً في وضع هذه الصورة المحسوسة لحركة الدنيا وعدم ثباتها امام هؤلاء القوم ولكي يؤكد الإمام ما وعد به القوم من قرب نهايتهم اخبرهم ان هذا عهد عهده إليه ابوه عن جده ، وهذا يمثل صدق قوله لان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لاينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ، ثم ختم الإمام كلامه مع هؤلاء القوم بآيتين من القرآن الكريم لهما دلالة واضحة على استعداد الإمام وأصحابه للقتال وخوض المعركة مع هؤلاء القوم الذين استحوذ عليهم الشيطان. وحين ننظر في الاحداث التاريخية بعد مقتل الإمام الحسين نجدها تحدثنا عن نهاية الذين اشتركوا في قتال الحسين فلم يمر وقت طويل على قتلهم الحسين حتى دارت بهم الدنيا سريعاً كما وعدهم الإمام وسلط الله عليهم من قتلهم شر قتلة وترامى الأطفال رؤوسهم في ازقة الكوفة ، وكأنه سبحانه وتعالى قد استجاب دعاء الإمام عليهم في آخر كلمته ، (اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنيناً كسني يوسف ، وسلط عليهم غلام ثقيف فأنهم غرونا وكذبونا وانت ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير). لقد دعوه لينصروه ثم تخلوا عنه وخذلوه ، ووقف كثير منهم في صف اعدائه ، فكان هذا الدعاء الذي انهى به الإمام خطابه لتنتهي معه لغة الحوار وتبدأ بعدها لغة السيف والقتال بعد ان عجزت تلك اللغة من تحقيق اهدافها ، وقد اعلن الإمام ومن معه توكله على الله الذي هو ولي كل شئ وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، وبدأت المعركة بين الإمام وأصحابه وبين أعداء الله ورسوله معركة الحق ضد الباطل والعدل ضد الظلم ، معركة خاضها الإمام الحسين وأصحابه من اجل الدين والعقيدة وقدموا فيها ارواحهم لحماية مبادئ الدين الإسلامي من الانحراف.

٤- كلمة الإمام في أثناء القتال.

أعلن الإمام الحسين في آخر خطاب له استعداده وأصحابه للقتال وآثروا مصارع الكرام على طاعة اللئام وانتهت لغة الحوار الذي لم يجد نفعاً مع قوم استحوذ عليهم الشيطان لتحل محلها لغة السيوف والرماح ويزحف آلاف الرجال والفرسان وهم بكامل عدة القتال نحو معسكر الحسين وأصحابه ، ولم يرغب الإمام ان يبدأهم بقتال حتى كانت البداية منهم وبدأت المعركة ويصمد أصحاب الحسين وأهل بيته امام هذا السيل الجارف من الخيل والرجال يشد ازرهم الايمان بالقضية التي يدافعون عنها والعقيدة التي آمنوا بها ويريدون التضحية من اجلها ، وكانوا صادقين مع انفسهم ومع سيدهم يدل على ذلك ثباتهم مع الحسين في هذا الطريق من غير تردد ... إلى ان لقوا الله تعالى[٢٦] وقد شهد لهم اعداؤهم قبل أصحابهم بالشجاعة.

ومناقب شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الاعداء

يقول احد الذين شهدوا المعركة مع ابن سعد: (ثارت علينا عصابة ايديها على مقابض سيوفها كالاسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالاً ، تلقي نفسها على الموت ، لا تقبل الامان ولا تقبل المال .....) [٢٧] ، وقد ابدع احد الشعراء في وصفهم بقوله.

قوم اذا نودوا لدفع ملمة والخيل بين مدعس ومكردس
لبسوا الدروع على القلوب واقبلوا يتها فتون على ذهاب الانفس

لقد واجه أصحاب الحسين وأهل بيته الموت بصدورهم العارية وحملوا ارواحهم على اكفهم ، ولم يتهبوا من تلك الجموع الزاحفة نحوهم ، لقد اخافوا الموت ولم يخفهم ، فهم ماضون في طريق نصر الحسين ابن بنت نبيهم ويقاتلون من اجل احياء الدين ولا يرون الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما وهو ما عبر عنه امامهم وقائدهم الحسين ، وهكذا اسقطوا في ارض المعركة واحداً بعد الآخر واحتسبهم الإمام الحسين عند رب رحيم ولم يبق مع الإمام الحسين سوى أهل بيته الذين تقدموا للقتال بين يدي سيدهم، ودافعوا عن امامهم ودينهم وعقيدتهم دفاع المستميت واذاقوا العدى ا لموت الزؤام وكلما سقط واحد منهم شهيداً بكاه الحسين واحتسبه عند الله ، وسقطوا في ارض المعركة واحداً بعد الآخر ، وكان آخر من استشهد منهم اخوه وحامل لواءه ابو الفضل العباس ، قدموا ارواحهم جميعاً في سبيل الله ورسوله وحماية دين الاسلام ، اختاروا الموت العزيز على الحياة الذليلة يقول احد الشعراء: [٢٨]

ولما رأوا بعض الحياة مذلة عليهم وعز الموت غير محرم
ابو ان يذوقوا العيش والذل واقع عليه وماتوا ميتة لم تذمم
ولا عجب للاسد ان ظفرت بها كلاب الاعادي من فصيح واعجم
فحربة وحشي سقطت حمزه الردى وحتف علي من حسام ابن ملجم.

ويجد الإمام الحسين نفسه وحيداً بين الاعداء وهو ينظر إلى أصحابه وأهل بيته مجزرين على ارض كربلاء فعزم على مواجهة القوم بصدره الشريف واطلق صرخته التي دوت في اركان السموات والأرض ورددها كل حجر ومدر (اما من مغيث يغيثنا ، اما من ناصر ينصرنا ، اما من ذاب يذب عن حرم رسول الله) ثم يتقدم الإمام نحو القوم بعد ان ودع اطفاله وعياله واوصاهم وصيته الاخيرة ، وتفر زمر الاعداء امامه فقتل من قتل وجرح من جرح حتى وصل إلى شاطئ الفرات واحاط به القوم من كل جانب وحالوا بينه وبين رحله وخيامه فصاح

فيهم: (ويحكم يا شيعة آل ابي سفيان ، ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا احراراً في دنياكم هذه وارجعوا إلى احسابكم ان كنتم اعراباً كما تزعمون ، فقال له الشمر ماذا تقول يا حسين ؟ قال الإمام اقول انا الذي اقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس لكم عليهن جناح فامنعوا عتاتكم وطغاتكم وجهالكم من التعرض لحرمي ما دمت حياً....) (٢٩).

كانت هذه آخر كلمات الإمام الحسين مع القوم قبل استشهاده ، بدأها بلفظة (ويحكم) وهي اسم فعل فيه دلالة على شدة اللوم والتقريع لمن يناديه ثم استعمل أسلوب الشرط بعد نداء القوم الذين اضافهم إلى ابي سفيان مستفيداً من دلالة هذا التركيب على الربط بين قضيتين (ان لم يكن لكم دين ..... فكونوا احراراً) لقد استعمل الإمام اداة الشرط (إن) لما فيها من دلالة على الشك وهو يعرف ان هؤلاء القوم ليس لهم دين يردعهم عن ارتكاب المحرمات ولا يخافون عقاب الآخرة ، لذا دعاهم إلى ان يكونوا احراراً في هذه الدنيا ويعودوا إلى انسابهم ان كانوا عرباً كما يزعمون ، قال الإمام هذا لان العربي بأنف بطبيعته من الاساءة إلى النساء والأطفال ولو كانوا من اعدائه ، هكذا هي اخلاق العرب قبل الإسلام وبعده ، وقد عمل الدين الإسلامي على ترسيخ هذا المبدأ – وبموجبه دعاهم الإمام إلى منع جهالهم من التعرض لحرمه ما دام حياً – طلب منهم ان يقصدوه بنفسه لانه هو الذي يقاتلهم.

وتستمر المعركة ويتكاثر الأعداء حول الإمام وهم يضربونه بالسيوف ويطعنونه بالرماح ويرمونه بالنبال ، وهو يقاتلهم بكل قوة وشجاعة ويفرون من امامه فهو الحسين بن علي بن ابي طالب – بطل تورث من ابيه شجاعة – ويمضي الإمام في قتال القوم ، ويحاط به من كل جانب ويقع المقدور ويصاب الإمام بسهم في صدره ويضربه رجل بالسيف على رأسه فيهوي من ظهر جواده ويخر على الأرض صريعاً ، وتنعاه ملائكة السماء ويغبر وجه الأرض وتمطر السماء دماً ، ويهدم ركن الإسلام وتذل بقتله رقاب المسلمين.

اولئك قوم لم يشيموا سيوفهم وقد نكأت اعداءهم حين سلت
وان قتيل الطف من آل هاشم اذل رقاب المسلمين فذلت

ويسقط الإمام متردياً ثياب الموت الملطخة بالدماء من اجل احياء الدين وعزة المسلمين

تردى ثياب الموت حمراً فما دجا لها الليل الا وهي من سندس خضر

وهكذا تنتهي معركة الطف التي قدم فيها الإمام الحسين نفسه وأهل بيته وأصحابه قرباناً من اجل دين الإسلام دين جده وابيه فاصبح رمزاً خالداً في الدفاع عن العقيدة ومبادئ الدين ورفض الظلم ، لقد كان في قتله منتصراً في دينه في عقيدته وقد تعلمت منه الاجيال في مختلف انحاء الدنيا كيف ان النصر لا يعني كسب المعركة بمعناه المادي المحسوس انما النصر في ثبات العقيدة ورسوخ المبدأ وخلود القضية وهذا ما حصل في معركة الطف فقد خرج الإمام الحسين منها منتصراً بالرغم من استشهاده هو ومن معه ، انتصر الإمام الحسين لأنه يمثل انتصار الحق على الباطل والدين على البدعة والمظلوم على الظالم انتصر الحسين وكان منارا خالداً يهتدي به الثائرون وأصحاب الحق والمظلومون في الأرض وقد اصبح انتصار الحسين

مدرسة تعلمت منها الاجيال معاني التضحية والشجاعة والصبر والدفاع عن العقيدة ، لقد جسد الإمام الحسين في هذه المرحلة من خطابه قوة العزم والتصميم والارادة في الثبات على المبادئ والدفاع عنها مهما كان الثمن غالياً ، وقد استنفد في بنية هذا الخطاب كل مسالك الحوار مع الأعداء واخلص في نصحهم وارشادهم ولكنهم لم يسمعوا ما يقول وكأنهم قدوا من حجر لا حياة فيه.

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي.

مـوارد البحـث

القرآن الكريم

١- الاحتجاج : ابو منصور الطبرسي ، محمد باقر الموسوي ، منشورات دار النعمان ، النجف الاشرف ١٩٦٦م .
٢- الاسرار الحسينية : محمد فاضل المسعودي ،مؤسسة الانوار الفاطمية ١٤٢٦هـ.
٣- الاسس الفنية لاساليب البلاغة العربية ، مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت ١٩٨٤م.
٤- الاصوات اللغوية : ابراهيم انيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،ط٤، ١٩٧٤م.
٥- اضواء على ثورة الامام الحسين ، السيد محمد الصدر ،دار الكتاب الاسلامي ٢٠٠٦م.
٦- انساب الاشراف : احمد بن يحيى البلاذري ،تحقيق محمد باقر المحمودي ،دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ١٩٧٧م.
٧- تأملات في زيارة وارث : محمد مهدي الاصفي ،مركز دراسات نهضة الامام الحسين ،د.ت .
٨- الامم والملوك : الطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٧٤م.
٩- التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية : رسالة ماجستير هادي سعد هنون ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ٢٠٠٨م.
١٠- ثورة الامام الحسيني ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية ، بيروت ١٩٩٦م.
١١- سنن الترمذي : ابو عيسى الترمذي ، تحقيق محمود محمد شاكر، منشورات محمد علي بيضون ، دارالكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٠م.
١٢- الكامل في التاريخ : ابن الاثير ،تحقيق عبد الوهاب النجار ،مصر ١٣٥٦هـ.
١٣- مقتل الامام الحسين : الخوارزمي ،تحقيق محمد السماوي ، مطبعة الزهراء ،النجف ١٩٤٨م.
١٤- مقتل الامام الحسين : عبد الرزاق المقرم ، مؤسسة الخرسان ،بيروت ١٤٢٦هـ.
١٥- نهج البلاغة : الامام علي (ع) . صبحي الصالح ،دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م.

الهوامش

(١) الاسرار الحسينية / ٣٣٢.

(٢) ورد هذا الخطاب في بعض الروايات بالصيغ الفعلية والارجح ما ذكرناه.

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ٣١٥.

(٤) التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية /٤٩.

(٥) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٢.
(٦) مقتل الإمام الحسين ، الخوارزمي / ٣٤٥.
(٧) في بعض النسخ (فرار) بالفاء وما اثبتناه هو الصواب.
(٨) انساب الاشراف ٣ / ١٨٨ ، وينظر الكامل ٣ / ٢٨٧.
(٩) التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية / ١١٨ ، وينظر الاسس الفنية لاساليب البلاغة العربية / ١٨٨.
(١٠) ينظر نهج البلاغة ١ / ٢٢١.
(١١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٢.
(١٢) سنن الترمذي ١ / ٢٢٣.
(١٣) ينظر مقتل الإمام الحسين / المقدم ١ / ٢٨٩ ، الخوارزمي / ١٢٠.
(١٤) الفتوح ٥ / ٢١٣ ، الاحتجاج ٢ / ١٢ ، مناقب ابي طالب ٤ / ١١٩.
(١٥) تاملات في زيارة وارث / ١٦٩.
(١٦) التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية / ٥٩ وينظر سر الفصاحة / ٢٣ والاصوات اللغوية / ٢٤.
(١٧) ينظر التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية /٦٠ وكتاب العين / حش ١٥٣/٣.
(١٨) ثورة الإمام الحسين /١٤٥.
(١٩) ينظر نهج البلاغة ٥٥/٢.
(٢٠) التصوير الفني في خطب المسيرة الحسنية /٧١، وينظر حياة الحيوان ١٣٦/٢.
(٢١) نثر الإمام الحسين / دراسة بلاغية /٢٦.
(٢٢) ينظر الاصوات اللغوية /٢٥.
(٢٣) التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية /٥٩.
(٢٤) ينظر مقتل الإمام الحسين الخوارزمي ٩/٢، والاجتياح الطبرسي ٢٢/٢.
(٢٥) اضواء على ثورة الإمام الحسين /٩٩.
(٢٦) مختارات من المحاضرات الحسينية ٢ / ٦٧٥.
(٢٧) شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ١ / ٣٠٧.
(٢٨) مختارات من المحاضرات الحسنية / ٢٤٤.
(٢٩) الكامل في التاريخ ٣ / ٢٩٤.